

إلا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المرفقين :
(سورة هود)

ومن هؤلاء المخالفين من أهلكوا بالريح العاصفة . قال تعالى :
«وأما عادُ فأهلكوا بريحٍ صرصرٍ عانية ، سخرها عليهم سبعَ
ليالٍ وثمانية أيامٍ حسوماً ، فترى القومَ فيها صرعى كأنهم أعجازُ
نخلٍ خاوية . فهل ترى لهم من باقية » : (الحاقّة)

وقال تعالى : « كذبت عادٌ فكيف كان عذابى ونذُرُ ،
إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يومٍ نحس مستمر ، تنزع الناسَ
كأنهم أعجازُ نخلٍ منقعر ، فكيف كان عذابى ونذُرُ » (القمر)
وأما ثمودُ فأهلكوا بالصواعق والزلازل . قال تعالى : « فأخذتهم
الرجفةُ فأصبحوا في دارهم جاثمين » (الأعراف) .

وقال تعالى : « وأخذ الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا في ديارهم
جاثمين كأن لم ينسوا فيها » (هود) .

وقال تعالى : « وفي ثمودَ إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ، فتعوا
عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون » : (الذاريات) .
أما قوم لوط ، فانظر ماذا أخذوا به من العقاب الشديد .
قال تعالى : « فلما جاء أمرنا جعلنا غالبها سافلها وأمطرنا عليها
حجارةً من سجيلٍ منضودٍ مسومةً عند ربك . وما هي من
الظالمين يعبد » (هود) .

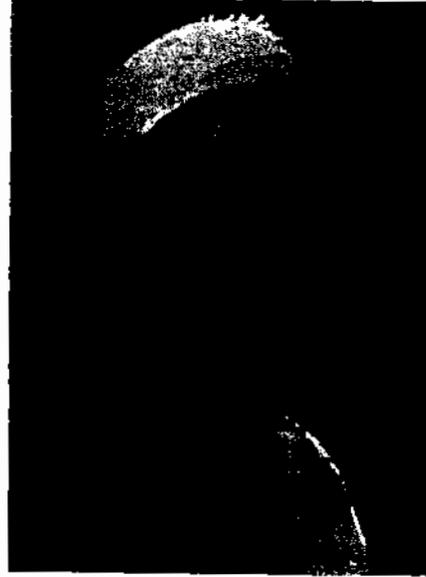
وقال تعالى : « فأخذتهم الصيحةُ مشرقين ، فجعلنا غالبها
سافلها وأمطرنا عليهم حجارةً من سجيل ، إن في ذلك لآيات
للتوسمين » (سورة الحجر) .

ونكتفي بهذا القدر اليسير في الاستشهاد بما كان يؤخذ به
المُصنّف الكائدون من ألوان المصنف والخسف والتكليل والتدمير
وقبل أن نتحول إلى الحديث في الطور الثاني نرى من الخير
أن ننبه إلى أن اقسام التاريخ إلى مراحل أو أطوار ، ليس معناه
أن مرحلة تبدأ من حيث تنتهي سابقتها على الضبط والتحديد ،
ولا أن التطور من حال إلى حال يحدث دفعة واحدة ، بل إن
المراحل ليتداخل بعضها في بعض كما أن التطور لا يكون إلا بالتغير
من طرفيه جميعاً بالنقص من هذا وبالإضافة من هذا ، حتى يتلاشى
القديم ويحل محله الجديد ، وهكذا . وكذلك يكون التطور في كل
شيء في هذا العالم

الطور الثاني : أما الطور الثاني فن أظهر مظاهر الترفق
بعض الشيء في التذرع ، والتخفيف في فنون المقويات وسعة

اعظيهم في تاريخ العالم

للاستاذ عبد العزيز البشير



لا شك عندي
في أن أعظم يوم
في تاريخ العالم
على الإطلاق ، هو
اليوم الذي هاجر
فيه محمد (ص)
وصاحبه من مكة
إلى المدينة . فإذا
كنت في حاجة إلى
دليل ، فسيطالعك
بعد قليل .

يرى المستعرض لتاريخ الأديان ودعوة الرسل أنها جازت
بمراحل ثلاث ، طوعاً لتطور الإنسان من البساطة والنفقة والوحشية
إلى أن أصبح كفوّاً للحياة المفكّرة المدبّرة التي تطلب السمو ،
وتنشد السعادة في ظل الأمن والنظام .

الطور الأول :

ففي الطور الأول كانت بعثة الرسل مقصورة على الدعوة إلى
الإيمان بالله ورسوله ، والأمر بأهيات الفضائل ، والنهي عن كبريات
الذائل ، كما كان وعيد المخالفين الكائدين وتعذيبهم وإرسال العبرة
بهم بالغاية الزوعة في الفتك والمصنف والتكليل .

فقد أهلك الله قوم نوح ، بعد إذ عصوه ومحدوا دعوته ،
ياغراقهم أجمعين . قال تعالى : « حتى إذا جاء أمرنا وفار التنورُ
قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه
القول ومن آمن ، وما آمن معه إلا قليل . وقال اركبوا
فيها باسم الله مجريها ومرساها ، إن ربى لفورٌ رحيم . وهي تجري
بهم في موجٍ كالجبال ، ونادى نوحُ ابنه ، وكان في معزل ،
يا بني ، إركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سأوى
إلى جيلٍ يعصمني من الماء . قال لا عاصم اليوم من أمر الله

قد حُتَمَ هذا الضربُ من الخوارق التي تجري على أيدي الرسل ،
يتحدّون بها المخالفين الماندين ، ويثبتون بها أن ما جاؤوا به
إنما هو من عند الله ، وكيف لا وقد أيدهم منها بما يخالف سنن
الكون وينبئ على طبائع الخلق

أما بشة محمد صلى الله عليه وسلم ، ففوق أنها تشارك بشة
عيسى عليه السلام في تجرُّدها من الأحداث التي سر بك بعض
وصفها ، فلا عصفاً ولا خسفاً ، ولا رياح عاصفة ، ولا زلازل
مدممة ، ولا شيء من هذا ولا مادونه مما يزج النفوس ويدخل
الروع على القلوب - فإن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم تمتاز
بأمرين : الأول أنها لا خلاف فيها لسنن الكون ولا مغايرة فيها
لطبائع الخلق ، والثاني أنها باقية مستمرة لا تنقطع على طول
الزمان . وقد عرفت من غير شك أن هذه المعجزة هي (القرآن)
وكذلك جعلت الدعوة الإلهية تتطور وتنمو بتطور الإنسانية
ونموها على الأحقاب

إذن لقد نضجت الإنسانية أو أصبحت على وشك النضوج ،
وإذن لقد تجاوز الإنسان طور القيصّر وبلغ الرشد أو أضحى على
شرف البلوغ

لقد أضحى الإنسان حقيقةً بأن يُرفع عن نفسه الحجر ،
وتُطلق له حرية التصرف في استنائه مناهج الحياة . إذ قد تهيأ له
لو فكّر وتدبّر ، أن يعرف ما ينفعه وما يضره ، وما يسيئه
في الغاية وما يسره ، وأن يميز بين ما يسعده وما يشقيه ، وما يميزه
وما يريده . فإذا اختلط عليه الأمر أو تزعت به العادة إلى الهوى ،
نُبّه ذهنه ، وحرك فكره ، وضربت له الأمثال ، وأقيمت له
الحجة بصول بها العقل كل اتصال . (لا إكراه في الدين قد تبين
الرشد من النى)

(أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق
الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلمهم ، فبأى حديث
بمده يؤمنون) الأعراف

(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف
رُفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ،
فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) الناشية . وهذان
مثالان مما لا يدركه الحصر مما ورد في القرآن الحكيم

الدعوة وتبسط التشريع ، سراء في المبادات أو في المعاملات
بين الناس . وفي هذا الطور أيضاً كانت تمتد الدعوة ، بقدر
كبير ، على التحدى بالمعجزات ، حتى لقد انتهى هذا الطور بكف
العقوبات وتفرد المعجزات

أما الترفق في النذر والتخفيف في ألوان العقاب ، فلقد كان
هذا التخفيف يتناول الكمّ أو الكيف أو يتناولهما جميعاً . قال الله
تعالى : « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات
لعلهم يذكرون » إلى قوله : « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا
قوماً مجرمين . ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما
عهد عندك لنكشف عننا الرجز لنؤمننّ لك ولنرسلنّ معك
بنى إسرائيل . فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم
ينكثون » سورة الأعراف

وقال تعالى : « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي
فأضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا محشى .
فأتبعهم فرعون بمجنوده ففشاهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون
قومه وما هدى » سورة طه

فأنت ترى أن ما أصاب آل فرعون من الجذب ونقص الثمرات
وما أرسل عليهم من الطوفان والجراد الخ لم يبلغ من الشدة والروع
بعض ما يبلغ العصف والدمدمة والخسف والتدمير . أما إغراق
فرعون ومن أتبعه بنى إسرائيل من جنده فلمصمة الفارين من
كيدهم وبطشهم ، والأمر لا يمدو هنا وقع الأذى على كل حال . على
أن عددهم بالنسبة لجمهرة الكافرين الكائدين جداً قليل

وأما المعجزات لحسبك منها معجزات موسى عليه السلام
إذ ألقى عصاه فإذا هي حية تلقف ما يأفك الساحرون ، وإذ ضرب
بها الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا ، وإذ ضرب بها البحر
فانفلق فكان كل فرقة كالطود العظيم

وحسبك منها معجزات عيسى عليه السلام . قال تعالى :
« ورسولاً إلى بنى إسرائيل أتى قد جئتكم بآية من ربكم أتى أخلق
لكم من الطين كهية الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله
وأبرى الآكمة والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله ، وأنبئكم بما
تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ، إن في ذلك لآية لكم إن كنتم
مؤمنين » . (آل عمران)

الطرر الثالث : وبعد فإن بمعجزات عيسى عليه السلام ،